الفصل الخامس

الكماليين للسلطان محمد رؤية وحيد الدين

الفصل الخامس

الكماليين للسلطان محمد رؤية وحيد الدين

من هم الكماليون

يُطلق لفظ الكماليين على مجموعة الضباط الذين كانوا تحت قيادة مصطفى كمال أثناء حرب الاستقلال[283]. فعند خروج مصطفى كمال من استانبول متوجهاً عن طريق البحر

---

[283] - حرب الاستقلال: هى الحرب التركية اليونانية التي اندلعت نتيجة السياسة الاستعمارية التي أراد الحلفاء تطبيقها، وكان سبب هذه الحرب استيلاء اليونان غير المبرر على الأناضول بموافقة مجلس الحلفاء الأعلى، الذي أراد أن يخرج من المأزق الدبلوماسي الناتج عن الإتفاقيات السرية، التي تمت خلال الحرب العالمية الأولى. فقد كانت اليونان تطالب بالحصول على تراقيا الشرقية الغربية حتى البحر الأسود، وقد وافق الحلفاء على هذه المطالب حتى تفصل الأراضي اليونانية بين تركيا، والدول الأوروبية الأخرى. كما طالبت اليونان بولاية إزمير في غرب الأناضول، وساندت بريطانيا هذه المطالب لجعل اليونان أداة لحماية مصالحها الخاصة بالمضائق، ومواجهة الحركة الشعبية في الأناضول حتى لا تقتدي بها باقي الدول. وجاء التصدي للفرنسيين والأرمن في مرعش وعينتاب وأورفة وأضنه، من حركات جماهيرية وشعبية دعمتها القوات الملية، وهى القوات التي حاربت اليونانيين قبل افتتاح المجلس الوطني، وكانوا خليطاً من الجنود ومن الأهالي المدنيين. وبعد افتتاح المجلس، بدأت الجيوش النظامية التصدي لليونانيين وانتهى دور الحركات الفدائية. وتتشكل حرب الاستقلال من أربعة مراحل: معركة إينونو الأولى التي وقعت في 10 يناير 1921 رداً على الهجوم الذي شنه اليونانيون في 6 يناير 1921، وانتهت بالانتصار. وبهذه المعركة انتهى دور القوات الشعبية وتم تشكيل الجيش. وكانت توجد في تلك الأثناء وزارة توفيق باشا في استانبول. ومعركة إينونو الثانية التي كانت أصعب من المعركة الأولى، وكانت إضافة لها وتم الانتصار فيها أيضا. ومعركة صقاريا التي وقعت بعد ثلاثة شهور من معركة إينونو الثانية في 23 أغسطس 1921، وكان هدف اليونانيين في تلك المعركة تجميع صفوفهم للهجوم على الجيش القومي. وكانو يتفوقون عليه في العدد والعتاد، ولذلك انسحب الجيش في البداية أمام القوات اليونانية، وتم تعيين مصطفى كمال قائداً عاماً بصفة استثنائية أثناء هذه المعركة. وعندما لم يتحقق هدف اليونانيين بعد هجوم دام 10 أيام بدأوا في التراجع. وكانت معركة دفاع وليس هجوم، وبعد 20 يوماً من بداية المعركة في 13 سبتمبر 1921، تحقق النصر للأتراك، ومُنح مصطفى كمال لقب الغازي، ورُقي لرتبة المارشال، وأصبح القائد العام للجيش بصفة دائمة. بعد انتصار صقاريا بدأت المساعي السياسية، وتم توقيع مذكرة تفاهم مع أنقرة في 20 اكتوبر 1921. وحضر المباحثات التي جرت بين الأتراك والفرنسيين، مصطفى كمال، وعصمت اينونو، ويوسف كمال، وكيل الخارجية، وتم استرداد أضنة بموجبها، ثم تقرر عقد مؤتمر في باريس لحل مسألة الأناضول. وطُرح في تلك الأثناء في المجلس، فكرة استدعاء ولي العهد عبد المجيد أفندي لجعله زعيماً لهم، وعندما جاء الأمير عمر فاروق ابنه بدلاً من أبيه، طلبوا منه العودة إلى استانبول. ثم وقع الهجوم الكبير، حيث بدأ اليونانيون يدعمون صفوفهم، وقواتهم التي في تراقيا بهدف الاستعداد لاحتلال استانبول. في تلك الأثناء حدث عصيان بين الوحدات اليونانية، وانشغل الجيش بالسياسة وبدأ ينهار. وفي اغسطس 1922 بدأ الهجوم الكبير بقيادة على إحسان باشا الذي رسم خطة الهجوم، والجيش الثاني بقيادة شوقي باشا، وقائد الجبهة عصمت باشا، ورئيس الأركان فوزي باشا. ولعب كاظم قره بكير دور المنقذ لمعركة الاستقلال بالقوات التي جلبها معه من الشرق. وانتهى هذا الهجوم بالانتصار في 9 سبتمبر 1922، وتم تحرير الأناضول، وإزمير، وبورصة من اليونانيين، ووصلت القوات القومية حتى استانبول، وأدرنة، ثم تم توقيع هدنة مودانيا. انظر

- Arnold J. Toynbee, "Türkiye,Bir Devletin Yeniden Doğuşu", c 11, a.g.e. s. 9

إلى سامسون - التي وصلها في 19 مايو 1919- اصطحب معه 18 قائداً عسكرياً، اختارهم لمساعدته لكي يتصدى لليونانيين المحتلين بناءً على توصية السلطان وحيد الدين[284]. فقد كان تحت قيادته، العقيد كاظم بك المانسترلي، رئيس أركان التفتيش، والعقيد رفعت بك، قائد الفيلق الثالث، وأصبح فيما بعد الجنرال رفعت باشا الذي كان على رأس القوة الوطنية التي دخلت استانبول بعد الانتصار على اليونانيين. والمقدم عارف بك، الرئيس الثاني لأركان التفتيش، والذي شُنق أثناء محاولة اغتيال مصطفى كمال في إزمير. والرائد خسروبك، المدير الأول لشعبة التفتيش، الذي أصبح فيما بعد نائباً وسفيراً. والنقيب جواد بك، باش ياور التفتيش. والمقدم الدكتور ابراهيم تالي، رئيس صحة التفتيش، والذي أصبح فيما بعد نائباً. والرائد الدكتور رفيق بك، مساعد رئيس صحة التفتيش، والذي أصبح فيما بعد نائباً ثم وزيراً للصحة ثم رئيساً للوزارة. وعلي فؤاد باشا، وكان قائداً للفرقة العشرين في أنقرة، ورؤوف بك، وزير البحرية السابق. وباقي المرافقين الذين كانوا مع مصطفى كمال عند سفره إلى سامسون، وكان من بينهم النقيب اسماعيل حقي، صهر السلطان وحيد الدين[285].

جهود السلطان وحيد الدين لإصلاح الجيش

في البداية حاول السلطان وحيد الدين السيطرة على الجيش، وتصفيته من الاتحاديين. فانتهج عدة سياسات تهدف إلى بناء جيش موالي للسلطنة العثمانية، فنزع من رئاسة الأركان كافة أجهزتها السرية، وقام بتحويلها إلى مكتب فني. وألغى التشكيلات المخصوصة التي كانت بمثابة أجهزة مخابرات. وقام بتشكيل هيئات النصيحة وأرسلها الى المناطق التي اندلعت فيها الاضطرابات في الأناضول بصفة خاصة. وقد تشكلت من صفوة المجتمع العثماني، وعدد من الأعضاء غير المسلمين، وكان هدفها توحيد كافة العناصر العرقية، والدينية، وبحث الحالة الاقتصادية في الأناضول، ومعرفة احتياجات الأهالي هناك[286]. كما قام السلطان وحيد الدين بعد تسريح الجيش[287] بموجب هدنة

- Arnold J. Toynbee, "The Western Question in Greece and Turkey", Houghton Mifflin Company, New York 1922, p.71

- Mehmet Arif Bey, "Anadolu İnkılabı", a.g.e.s. 60 – 82

الرجل الصنم ، مرجع سبق ذكره ص 221-

[284] - Fethi Tevetoğlü,"Atatürk'le Samsun'a Çıkanlar", Atatürk ve Çevresi Yayınları, Ankara, 1971 s.16

[285]- Mehmet Arif Bey, "Anadolu İnkılabı", a.g.e. s.25

326 – 323ص ، الوثائق أرقام (26- 29) 297- انظر ملحق الوثائق ص

[286] -Zekeriya Türkmen, "Mütareke Döneminde Ordunun Durumu ve Yeniden Yapılanması (1918-1920)", Türk Tarih Kurumu, Ankara 2001, s. 33,90

[287] - تم تسريح الجيش العثماني فيما عدا وحدات حرس الحدود، بموجب معاهدة موندروس، بناءً على المادة الخامسة من المعاهدة. فتم تسليم الأسلحة، ووضع السفن الحربية تحت إدارة دول الحلفاء. ولكن الدولة العثمانية لم تلتزم بهذه المادة التزاماً تاماً، وقررت إدارة عملية تسريح الجيش مما يتيح لها تشكيل حركة مقاومة قومية، فتباطأت في عملية تسليم الأسلحة، وقامت بإرسال العسكريين والأسلحة والذخائر سراً إلى الأناضول. وقام الجيش بإخفاء ممتلكاته

موندروس بإعادة تنظيم تشكيله، فقد استغل عدم تطرق المادة الخامسة من معاهدة موندروس إلى تشكيلات الجيش الداخلية، واكتفائها بتقليص عدد العسكريين، فتقدم بطلب إلى الجنرال ويلسون في 2 يناير 1919، يطلب فيه إعادة تنظيم تشكيل الجيش ليتألف من 9 فرق وعشرين مجموعة. وبذلك استطاع إعادة الضباط إلى هذه الوحدات فيما بعد. وحافظ على كادر الضباط بشكل سري لأنه نواة الجيش. وقام بتشكيل لجنة التدقيق والتصنيف التي مهمتها تحديد أفضل ضباط الجيش العثماني، وجعلهم بعيداً عن عملية تسريح الجيش، وحددت اللجنة عدد 2500 ضابطاً[288]. وقام بتشكيل مفتشيات الجيش، ومنها مفتشية الجيش التاسع الذي عين مصطفى كمال رئيساً لها. وكانت مفتشيات الجيش تتولى مهام قيادات الجيش العثماني التي أُلغيت بموجب أحكام هدنة موندروس، وكانت تعني بشئون التدريب العسكري وجمع الأسلحة والذخائر والمعدات في المخازن والعمل على حمايتها. وتبدو هذه المفتشيات كتشكيلات تأسست من أجل تطبيق أحكام الهدنة، ولكن بالنظر إلى تطبيقاتها وإلى إجراءات الضباط القائمين عليها، نجدها أهم تشكيلات تأسست في هذه الفترة، استهدفت تحرير الوطن التركي من الاحتلال[289].

وكانت جميع الفرق العسكرية في الأناضول عبارة عن وحدات غير متكاملة بلا تجهيزات أو أسلحة. وكانت ألوية هذه الفرق مبعثرة بين سامسون وآماسيا وطرابزون. وصارت هذه الوحدات تحت الأمر المباشر لمصطفى كمال بعد ذهابه إلى سامسون، حيث كانت له صلاحية إصدار التعليمات إلى الوحدات العسكرية، وإلى الموظفين المدنيين، والإداريين لكونه يحمل في جيبه فرماناً أي قراراً سلطانياً بهذا الخصوص، وهو القرار الذي حصل عليه من السلطان، لأن المهمة الخطيرة التي سيقوم بها كانت تحتاج إلى مثل هذه الصلاحية الاستثنائية. وقد مكنه هذا القرار من الاتصال برقياً بجميع الجهات، وهذه الصلاحيات الاستثنائية تشكل دليلاً على أن السلطان هو الذي أرسله إلى الأناضول للقيام بالثورة الملية[290].

رؤية الكماليين للسلطان وحيد الدين

عندما وصل مصطفى كمال إلى سامسون، جمع أخلص رفاقه من القادة أمثال كاظم قره بكيرباشا، ورفعت باشا، وعلى فؤاد باشا، ورؤوف أورباي حوله، وطلب منهم منحه ثقتهم من أجل خوض الحرب للحصول على الحرية والاستقلال. فأعلنوا جميعهم ثقتهم المطلقة به، وتعهدوا أنهم سيكونون له أتباعاً مادام يخدم الوطن، ويضحي في سبيله.

الأخرى مثل الخيول، وغيرها وبيعها للتجار والأهالي. وقد التزمت الدولة بالسرية التامة في تنفيذ هذه السياسة التي لم تكشفها دول الحلفاء. انظر Fahrettin Altay, "On Yıl Savaş ve Sonrası", İnsel Yayınları, İstanbul 1970, s.152

288 - طارق عبد الجليل السيد،"دور المؤسسة العسكرية في الحياة السياسية في تركيا المعاصرة على ضوء المصادر التركية"، رسالة دكتوراة. قسم اللغات الشرقية، فرع اللغة التركية. كلية الآداب، جامعة عين شمس 2008، ص48

289 -. انظر المرجع السابق ص 51

290 - الرجل الصنم، مرجع سبق ذكره، ص 145

ولكنهم اشترطوا عليه شرطاً واحداً: وهو ألا يقوم بعمل من الأعمال فيه مساساً بحقوق السلطان، أو تجريحاً له. وأكدوا له أنه ينبغي أن تكون الخلافة فوق كل شيء، وألا تُمس السلطنة بضير، فأكد لهم ما يريدون "لأنه لم يجد مفراً من هذه التأكيدات". وحتى الأهالي، والموظفين الذين انضموا إليه، كان ذلك بدافع أنهم يخدمون السلطان ويحافظون على العرش المهدد[291].

وعندما أعلن مصطفى كمال عن رغبته في إقامة حكومة مؤقتة في الأناضول -لأن الحكومة المركزية والسلطان واقعان تحت سيطرة الحلفاء- بدأ الكماليون تساورهم الشكوك في نيته، لأنهم كانوا جميعا يعرفون نزعته الثورية ويخشون بأسها. فأبدى رؤوف معارضته في اتخاذ أية خطوة من شأنها إغضاب السلطان الخليفة، أو حكومته المركزية. أما على فؤاد فكان حذراً، متهيباً وغير متأهباً لقبول مصطفى كمال رئيساً له. وكان رفعت أيضا يرتاب في مصطفى كمال، وقد استعاد إلى ذاكرته ما سمعه من أرائه على ظهر السفينة، وهم في طريقهم إلى سامسون، وهى كلها تنطق بمطامعه، وأفكاره الثورية، وعدم احترامه لجميع ما درج الناس والتقاليد على الولاء له. وحاول مصطفى كمال أن يقنعهم باقتراحه ويكسبهم إلى صفه، فقد كان في أمس الحاجة إلى معاونتهم. وأخيراً رضخ لرغبته رؤوف، وعلى فؤاد. أما رفعت فقد ظل متردداً، إذ لم يرى أية فائدة من إنشاء حكومة مستقلة في الأناضول، لكنه أمام إلحاح مصطفى كمال، وحرج الموقف، اضطر إلى الموافقة. ثم تلقى مصطفى كمال تأييد كاظم قره بكير، قائد جيش ديار بكر، لقراراته، ثم جاء تأييد جعفر طيار من أدرنه، ومن القائد العام لمنطقة قونية. وبذلك ربح مصطفى كمال الجولة الأولى من الصراع، وهو ضم كبار قادة الجيش إلى صفه[292].

كان الكماليون لايرضون عن تصرفات حكومة استانبول تجاههم، ولكنهم كانوا لا يريدون التخلي عن السلطان أو تجريده من سلطته، حتى ولو كانوا هم أنفسهم الذين سينعمون بهذه السلطة. فقد كانوا يحبونه أكثر من أنفسهم، ويقدمون مصالحه الذاتية حتى على مصالح الشعب. وأثناء مؤتمر سيواس، كان أول اقتراح عُرض وقُبل فوراً، هو عدم المساس بالسلطنة أو الخلافة. وجدير بالذكر أن رؤوف بك، وكاظم قره بكير، وعلي فؤاد، ورفعت باشا، قد قطعوا علاقتهم بمصطفى كمال بعد ذلك، وانشقواعليه بعد أن رأوا أنه قضى على الخلافة، وطرد أفراد أسرة السلطان بعد التأكيدات التي قدمها لهم[293].

رؤوف أورباي

كان رؤوف بك ضابطاً بحرياً، قاد الطراد (حميدية) عام 1912 أثناء الحرب البلقانية، وعمل كقبطاناً للسفينة الألمانية (امدين) خلال الحرب العالمية الأولى، وحقق الكثير من البطولات، وفي نهاية الحرب عُين وزيراً للبحرية. وكان رئيساً للوفد الذي

---

[291] - داجوبيرت فون ميكوش، مصطفى كمال، المثل الأعلى، مرجع سبق ذكره، ص 210 – 212

[292] - أرمسترونج، الذئب الأغبر، مرجع سبق ذكره، ص 11 ، 14

[293] - داجوبيرت فون ميكوش، مصطفى كمال، المثل الأعلى، مرجع سبق ذكره، ص 233 ،242

مثل تركيا في التوقيع على هدنة موندروس، والذي قبل شروطها معلناً تأكيده أن الأمة الإنجليزية، وحليفاتها ستحافظ على كلمتها. وبرغم تعهده بالوثوق في مصطفى كمال، كان يبدي معارضته له في مسائل كثيرة[294]. وعندما سأل مصطفى كمال، رؤوف بك عن رأيه، وقناعته الشخصية فيما يتعلق بالسلطنة، والخلافة قال: "إنني موالٍ لمقام السلطنة، والخلافة وجدانياً، وشعورياً لأن أبي تربى بفضل السلطان، ونعمته. فقد كان أبي أحد رجال الدولة العثمانية، وأنا أيضا تجري في دمائي آثار تلك النعمة، وأنا لست جاحداً، ولا يمكن أن أكون كذلك. إن الإخلاص للسلطان دين في عنقي، أما ارتباطي بالخليفة، فهو أمر نابع من تربيتي، وفضلا عن هذا فإن لدي وجهة نظري الخاصة. فالسيطرة على الوضع العام هنا أمر صعب، ولا يمكن أن يحقق هذا سوى مقام ألف الناس أن يرونه مقاما رفيعا، لايمكن أن يرقى إليه أحد قط، هذا المقام هو مقام السلطنة والخلافة. وإلغاء هذا المقام، والعمل على إقامة كيان آخر مكانه، له ماهية أخرى، أمر يوجب الكارثة والخسران، بل إنه أمر لايمكن أن يجوز أصلاً"[295].

رفعت باشا

كان رفعت باشا ضابطاً في سلاح الفرسان، فخوراً بنفسه، مشهوراً بشجاعته. وقد تولى قيادة قوات مقدونيا في ثورة سلانيك، ودافع عن غزة في حصار طويل ضد الإنجليز. وأثناء الرحلة إلى سامسون، كان رفعت باشا - الذي تم تعيينه قائداً للجيش الثالث في سيواس - مع مصطفى كمال الذي ترك نفسه على السجية فراح يتكلم عن أفكاره، ومطامعه، وخططه، بينما كان رفعت باشا يصغي صامتاً. فقد أدرك رفعت باشا مدى كفاءة مصطفى كمال، ومؤهلاته كقائد، أو زعيم لثورة. وكان يؤيده في أمر تنظيم حركة مقاومة لليونانيين، لكنه وهو ينصت إليه شعر أن وراء كل ذلك تكمن أنانية مصطفى كمال الطاغية، وتصميمه على اغتصاب السلطة بأي ثمن. فقرر أن يقف في صفه على أن يراقبه ويحذره[296].

وكان رفعت باشا قد أُدرج ضمن زعماء القوة الشعبية بعد أن وافق على مهمة تنظيم حركة مقاومة شعبية، وعلى الذهاب إلى الأناضول مع مصطفى كمال باشا. وقام بعد ذلك بالتوقيع على قرارات آماسيا[297]. وكان في البداية محجماً عن الذهاب إلى الأناضول،

---

[294] - داجوبيرت فون ميكوش، مصطفى كمال، المثل الأعلى، مرجع سبق ذكره، ص 214-264،217

[295] - مصطفى كمال (غازي) نطق مرجع سبق ذكره، ص 418

[296] - أرمسترونج، الذئب الأغبر، مرجع سبق ذكره، ص 111 ،112

[297] - بعد سقوط حكومة فريد باشا، تولى رضا باشا الوزارة، وحدث التفاهم بين أنقرة واستانبول، وعادت الاتصالات بين استانبول والأناضول مرة أخرى. ثم جاء وزير البحرية، صالح باشا إلى آماسيا في 20 أكتوبر 1919 للتباحث مع الهيئة التمثيلية، وجاء مصطفى كمال، ومعه بكير سامي بك، ورؤوف بك من سيواس إلى أماسيا، واستمر النقاش بينهما لمدة ثلاثة أيام . وانتهت المباحثات بينهم بتصديق صالح باشا على قرار انعقاد مجلس المبعوثان في الأناضول في بورصة، وتم وضع بروتوكول ينظم هذه المسألة. ثم أصدر جمال باشا، وزير الحربية قراراً بضرورة تدعيم الجبهات الملية، ومنح العقيد رفعت بك مهمة تنظيم جبهة إزمير كلها، وأرسلت حكومة استانبول وفداً إلى الأناضول برئاسة فوزي چاقمق، رئيس الأركان العامة في مهمة الاطلاع على الموقف العام في الأناضول. انظر Mehmet Arif Bey, “Anadolu İnkılabı”, a.g.e. s. 35,36

ولكنه أراد ألا يبدو معارضاً للحكومة. وبرغم التفكير العميق لم يستطع أن يتراجع. ولهذا السبب بدا خلال أحداث الأناضول متردداً ومرتاباً. لم يكن يعتقد أن العمل الذي بدأه مصطفى كمال باشا كان هو طريق الخلاص، هذا بالإضافة إلى إنه كان لا يثق في مصطفى كمال. كانت علاقة رفعت باشا بمصطفى كمال باشا تشبه العلاقة بين كاظم قره بكير ومصطفى كمال، هذه العلاقة التي استمرت حتى النصر لم تكن علاقة رفض رئاسة رئيس، لكن علاقة عدم الثقة بالرئيس مع الاجتهاد دائماً في عدم جعل الرئيس يشعر بإنه بالنسبة له ككابوس، وكان يراه لائقاً بمقام الرجل الثاني لا الرئيس. وعندما سُئل رفعت باشا عن سبب سوء الفهم بينه وبين مصطفى كمال باشا، أجاب قائلاً : "إنه لم يكن بيننا أبداً أى تفاهم"[298].

ويتحدث رفعت باشا عن انتصار الأناضول فيقول: "إنه نصر رخيص وقع مصادفة خلال رحلة كاظم قره بكير إلى الشرق. كان مصطفى كمال لايعجبه الباشاوات: كاظم قره بكير، ولا على فؤاد، أو رؤوف بك، وكان يحتقرهم ويحط من شأنهم". ورغم إنه يصف مصطفى كمال بإنه "كان رجلاً رديئاً"، فهو لا ينقصه حقه، ولا يغتصب منه نصيبه الكبير في شرف تحقيق النصر في الحرب القومية فيقول: "إن مصطفى كمال نفذ المهمة التي كُلف بها على نحو مثالي حتى النصر. ولا شك في إنه كان مثالاً للقائد والزعيم. لكن بعد تحقيق النصر، إلتف حوله جماعة من الوصوليين وأثروا عليه، ووجود هذه الجماعة من حوله كان السبب في فساد النظام، وانصب كل غضبي على مجموعة الوصوليين تلك. وفي أحيان كثيرة كنت أُذكِّره وأنقده".

ويقول رفعت باشا **" أما وحيد الدين الذي اضطروه للرحيل إلى إيطاليا! هذا السلطان سيئ الحظ، فقد فعل كل ما بوسعه من أجل إنقاذ الوطن، وفي النهاية يكون وضعه هكذا. كأنه لم يفعل أي شيء، إنه سيئ الحظ، فقد وصفوه بإنه خائن الوطن. أنا أعرف عن قرب إنه الرجل الوحيد الذي حث مصطفى كمال، ودفعه إلى هذا العمل. ومؤكد هذه الحقيقة سيظهرها التاريخ ذات يوم. إن السلطان وحيد الدين كان يشعر بمدى الكارثة بعد الحرب العالمية الأولى أكثر من أي شخص آخر، ومن أجل إنقاذ الوطن قام بإرسال القادة الشبان إلى الأناضول، وأبدى تضحيات مادية، ومعنوية كبيرة من أجل تحقيق هذا الإنقاذ. وهو الذي اختار مصطفى كمال وأرسله إلى الأناضول. إن التاريخ هو العلم الذي يجعل العدالة الإلهية تنجلي، وتُظهر حقائق الوقائع. وذات يوم عندما يحين الوقت ستظهر الحقيقة، بعد التحقق من كل الأشياء من دفتر مذكرات أناس مثلي"**[299].

بعد تحقيق الانتصار، مُنح رفعت باشا شرف أن يصبح أول قائد يدخل إلى استانبول، لأن مصطفى كمال لم يكن يريد أن يختار قائداً غيره يمكن أن يسبب له كارثة. فقد كان رفعت باشا يفهم مقتضى الأمور وذو إدراك ووعي كاملين، وكان رئيسه يعرف كيف

---

[298] - Sabahattin Selek, "Anadolu İhtilali", c.1, a.g.e. s.130-132

[299]- Necip Fazıl kısakürek, "Sultan Vahiduddin" , a.g.e. s. 129-130

يستغله. وفي هذا السياق فإنه عند الحساب الخاص لفترة الحرب القومية نجد أن فعالية رفعت باشا كانت من أسباب النتائج الإيجابية لهذه الحرب. ويقول رفعت باشا عن سبب خروج السلطان وحيد الدين من استنبول: "إن وحيد الدين لم يكن يفكر في مغادرة البلاد، ونحن الذين قمنا بإقناعه أن وجوده قد يتسبب في الإضرار بالوطن والشعب والأسرة العثمانية". إذ قبل إلغاء السلطنة بعشرة أيام، كان رفعت باشا في استانبول، وعندما أُلغيت السلطنة التقى بالسلطان. لم يكن السلطان يفكر في مغادرة البلاد، وكان مقتنعاً أن القرارالذي أصدره مجلس الشعب الكبير لا يتفق مع القانون الأساسي، وهذه المسألة القانونية أثارها فيما بعد جلال الدين عارف، مدرس الحقوق الأساسية. وأثناء لقاء رفعت باشا بالسلطان قال له: "إن الأفكار في أنقرة مشوشة، وربما يقدمونكم للمحاكمة". فقال السلطان: "إنني مستعد للمحاكمة، ليس هناك ما أخشاه". فقال رفعت باشا: "لابد من التضحية من أجل سلامة الدولة والشعب، حتى لا نفسح المجال لوقوع انقسام بين الشعب، مما يؤدي إلى وقوع حرب أهلية". وبهذه النقطة الحساسة فقط تنازل السلطان عن إصراره، وجعلناه يتخذ قراره بمغادرة الدولة"[300].

كاظم قره بكير

يرى كاظم قره بكير أن السلطان وحيد الدين هو أول من أحاط بجميع أوجه الضعف، والقصور، وفكر في وسيلة لإنقاذ الوطن. ففي بداية الهدنة تجمع في استانبول القادة الشبان مثله هو، وعلى فؤاد، وجعفر طيار، ورفعت باشا. وكان مصطفى كمال باشا في تلك الأثناء من أوائل القادة الذين عادوا إلى استانبول، وتجمعوا هناك تاركين وحداتهم تواجه السقوط، وكان أمله الوحيد هو تولي وزارة الحربية، فلم يكن يفكر في شئ اسمه الحركة القومية. وقد قام هو بزيارته في 11ابريل عام 1919 حتى يثنيه عن رغبته في دخول الوزارة، وللتحدث معه بشأن مسألة البقاء في استانبول المشار اليها فوجده مريضا. أما السلطان وحيد الدين فقد قام بدعوة هيئة القيادة العليا لوحدات جيش السلطنة - الذي تم تسريحه بموجب أحكام الهدنة- إلى الاجتماع في قصره، حيث لفت الانتباه إلى مسألة تجمع القادة في استانبول، ومدى خطورة هذا الوضع. إذ رأى أن هذا الوضع غير سليم، وأنه لابد من عودة القادة إلى الخدمة في الأناضول في مهمة جديدة. ويبرز كاظم قره بكير قول السلطان وحيد الدين في هذا اللقاء الذي تم في 6 ديسمبر عام 1918، مؤكداً هذه الحقيقة: "قبل الحديث والتفاوض بشأن تأمين الصلح، لا يجب إضعاف الجيش، أو إبعاد القادة الشباب عن الاضطلاع بمسؤلياتهم. وإلا فلن نكون بعيدين عن وضع الأندلس، ولكن عودة القادة الشباب المتجمعين في استانبول إلى الأناضول على رأس الجيش، سيحول دون القضاء على الوطن التركي". وأصبح هذا اللقاء أحد عوامل ضمان بقائي أنا وشباب القادة الآخرين على رأس وحداتهم. فتم تشكيل ما يعرف

[300] -Ziya Nur Aksun, "Osmanlı Tarihi", Ötüken Neşriyat, c. 6, İstanbul 1994, s.367

بمفتشيات الجيش العثماني، وبناءً عليه تم تعيين فوزي چاقمق باشا، مفتشاً على الجيش الأول ومركزه استانبول، وعُين جمال باشا، مفتشاً على جيش الصاعقة ومركزه قونية، وعُين مصطفى كمال باشا، مفتشاً على الجيش التاسع - الذي تغير اسمه إلى الجيش الثالث - ومركزه أرضروم. وتم تعيين رفعت باشا، قائداً على الفيلق الثالث، وكاظم قره بكير باشا، قائداً على الفيلق الخامس عشر. وهكذا نجد أن السلطان أول من أدرك سوء وضع الجيش، وأن فكرة قيام قادة شباب الجيش بالمقاومة الشعبية (الملية)، وعودتهم إلى رأس وحداتهم، جاءت من السلطان[301].

وعندما أخذ مصطفى كمال يجمع أنصاره في مجلس الأمة التركي الكبير في جناح "الدفاع عن الحقوق"، ويحاول السيطرة على المجلس، وتطويعه لإرادته عند ظهور الجناح المعارض، بدأت الشكوك حول نيته إعلان الجمهورية خاصة بعد إصدار قانون التشكيلات الأساسية. واعترض كاظم قره بكير على هذا القانون، لأنه لم يوضع فيه النصوص المدعمة، والضامنة لمؤسسة الخلافة. وكانت هذه هى نقطة الخلاف بين مصطفى كمال والكماليين، وبينه وبين رجال الدين الذين كانوا يسعون بكل وسيلة إلى تأسيس نظام قائم على الشريعة وحدها[302].

فوزي باشا چاقمق

يُعتبر فوزي باشا چاقمق، الركن الثاني في الحرب التركية اليونانية. التحق بالمجلس التركي الكبير في 27 ابريل 1920، بعد عدة أيام من اجتماعه في أنقرة. حيث التحق بأنقرة مرسلاً من طرف السلطان وحيد الدين، وأُعلن نائباً عن كوزان. وقد روى بالتفصيل الظروف الثقيلة التي عاشها السلطان، وأحوال استانبول، في حديث طويل من على كرسي مجلس الأمة التركي الكبير أمام وكلاء الأمة. فقد قال فوزي چاقمق الذي رأى الأحداث رؤية العين: "إن السلطان أوصاني بالذهاب إلى الأناضول، والانضمام للحرب القومية، وأوصاني ألا أتوانى عن ذلك". وأوضح أن السلطان وحيد الدين كان الشديد، وكان يعاني كدراً وهماً وقلقاً من جراء ذلك، واقعاً تحت ضغط قوات الاحتلال ورغم هذا كان يصدر أوامره إلى أعضاء الحكومة بألا يقطعوا اتصالهم بأنقرة. وأشار فوزي چاقمق إلى أن فتوى شيخ الإسلام دري زاده التي استغلها ضده خصومه، لم تكن من طرف السلطان، ولا بأمره، ولا برضاه، بل بضغط الإنجليز بأن تخرج هذه الفتوى.

وبين أن حيدر زاده الذي شغل منصب شيخ الإسلام قبل دري زاده، تعرض لضغط الإنجليز لإخراج هذه الفتوى المطلوبة، وترك منصبه لعدم استطاعته مقاومة ضغطهم. أما دري زاده الذي تولى المنصب بعده، فقد أتوا به وتمت توليته من جانب الحكومة

---

[301]- Kazım karabekir, "İstiklal Harbimiz", a.g.e. s.81-92

[302]- Falih Rıfkı Atay, "Çankaya", a.g.e. s. 304

- في تلك الأثناء جاء وفد استانبول برئاسة عزت باشا وصالح باشا إلى أنقرة للتفاهم مع مصطفى كمال، فتم احتجازهما، ومنعهما من العودة إلى استانبول، ولم يُسمح لهما بالعودة إلا بعد تعهدهما خطياً بأنهما سوف ينسحبان من حكومة استانبول. انظر الرجل الصنم، مرجع سبق ذكره، ص 218،220

حتى يعطي هذه الفتوى التي خرجت بضغط حراب الإنجليز، ويخلص الوزارة من ضغطهم. وليست هناك أية علاقة للسلطان بهذه الفتوى التي صدرت ضد رجال المقاومة الوطنية[303].

إن ذهاب مصطفى كمال إلى الأناضول كان معلوماً للإنجليز وحتى بإذنهم. وهم لم يمانعوا في خروج مصطفى كمال إلى الأناضول، ولما ذهب إلى هناك أخذوا يضغطون على الحكومة في استانبول، وعلى الخليفة حتى يتعقبوا القوة الملية. وبهذا يضعوا الطرفان في مواجهة بعضهما البعض من أجل إحداث فتنة، مما يؤلب الشعب ضد الخليفة والحكومة[304].

رضا نور

يقول رضا نور إن مصطفى كمال لم يكن يفكر في أن يتجه إلى الأناضول لكي يشارك الوطنيين في حركتهم الشعبية ضد المحتلين. لكن السلطان وحيد الدين هو الذي أحس بالحاجة إلى وجود قوة تواجه قوات الاحتلال الأجنبي، على أن تتشكل هذه القوة من الشعب، والجنود والجيوش في الأناضول. وتقوم هذه القوة في الظاهر، بمعارضة كل من قوات الاحتلال والسلطان، وتطالب بالاستقلال. ولكي تتحقق هذه الفكرة، وجد أن مصطفى كمال هو الشخص المناسب لتنفيذها، فقام السلطان بمنحه مبلغاً من المال، وكذلك حصل مصطفى كمال على بضعة آلاف من الليرات من ميزانية الحكومة. ونشرت جريدة (ريبابلك انشانس) في باريس، الصورة الفوتوغرافية للإيصال الذي تسلم به مصطفى كمال المبلغ. استدعى السلطان مصطفى كمال، وأفهمه الأمر، ثم كلفه به وأعطاه في يده الفرمان الخاص بذلك، وفي الوقت نفسه جعله يقسم بشرفه أنه سيؤدي هذا العمل، وأنه سيطيع الأوامر الصادرة إليه، وأنه إذا صدرت إليه الأوامر ذات يوم بإنهاء هذا العمل فعليه أن يطيع الأوامر.

فالسلطان وحيد الدين هو الذي دفع بمصطفى كمال- الذي كان يسعى لتولي وزارة الحربية- إلى الأناضول بحجة قمع التمرد هناك، ولكن مصطفى كمال قرر الانتقام من السلطان وانقلب عليه. وعندما حاول مصطفى كمال الانضمام إلى مؤتمر أرضروم، لم يُقبل انضمامه. فبدأ المكائد، واستطاع الدخول، فقد كان مصطفى كمال محتالاً، ومتآمراً، يحكم تدبير المكائد، والحيل، وهذا ما أسماه البعض ذكاءً. وعندما انضم للمؤتمر طلب أن يكون الرئيس، ثم ذهب إلى سامسون وشكل الهيئة التمثيلية. وكان كاظم قره بكير، ورؤوف أورباي يخشون طمع مصطفى كمال، ويرون أنه سيكون في المستقبل بلاءً على رأس الأمة. فلم يكن رؤوف أورباي يريد أن يكون مصطفى كمال رئيساً للهيئة التمثيلية، ولكنه رأسها في النهاية بفضل على فؤاد باشا.

---

[303] -TBMM Zabıt ceridesi, c.1, 6 İctima, Brinci celse, Ankara 1940

[304]- Kadir Mısıroğlu, " bir mazlum Padişah, Sultan vahideddin", a.g.e. s. 170

في تلك الأثناء لم يكن لمصطفى كمال وجود يُذكر في الثورة، ولكنه صار رئيسها بعد ذلك. وعندما تشكل مجلس المبعوثان العثماني الأخير في 12 يناير 1920، أُنتخب مبعوثاً عن أرضروم، لكنه لم يلتحق بالمجلس بل حاول أن يرأسه. فقد جاء حتى إزميت من أجل أن يدخل المجلس، وأن يصبح رئيساً له، ولكنه صرف النظر عن المجيء إلى استانبول، لأن البعض حذره من أن الإنجليز قد يعتقلونه. ولما علم أن المجلس يجتمع في استانبول، قال سوف ينتخبوني رئيساً للمجلس.

ثم يعلق رضا نور على طمع مصطفى كمال بقوله، من العيب أن يريد الإنسان كل شيء لنفسه، الرئاسة والمكانة، فهذا يعد دليلاً على طمع هذا الإنسان. فهذه هى عادته يريد نفسه فقط. مثلاً بعد ذلك اتخذ لنفسه لقب الغازي[305]، ورتبة المشير، والقائد. إن ملايين الليرات لاتكفيه. كل شيء يريده لنفسه، فهو يعمل لمصلحته فقط. ويقول إنني أفعل كل ما هو ضروري من أجل الدفاع عن الوطن دون أن يوضح ما هو هذا الضروري الذي يفعله[306].

ورغم أن رضا نور يتفق مع مصطفى كمال في الفكر والثقافة[307]، كان يعارض موقفه من السلطنة، والخلافة الإسلامية. فهو يقول في مذكراته: "إنه كان مع فكرة إلغاء السلطنة، ولكن لم يخطر له على بال مسألة إلغاء الخلافة. فقد كان يرى أن إلغاء الخلافة مضر، وأنه من الضروري أن تكون الخلافة قوة دينية مستقلة عن الحكومة. فلا يجب أن تُهدم الخلافة، بل يجب إصلاحها وتدعيمها. فرغم استبداد موسوليني، كان يدعم البابا. إن الخلافة قوة، والعالم الإسلامي بدون الخلافة يصير ضعيفاً، بدون قائد، أو أمل"[308].

---

[305] - الغازي: لقب أُطلق على السلاطين، والقادة المسلمين الذين حققوا انتصارت في الحروب التي خاضوها في سبيل الله لنصرة الإسلام. انظر Bekir Sıtkı Baykal, "Tarih Terimleri Sözlüğü", Türk Dil Kurumu, Ankara 1974, s.51

[306]- Rıza Nur, "Hayat ve Hatıratım", a.g.e . c. ll, s. 513.234

[307] - كان بعض المثقفين الأتراك يرون أن الخلافة الإسلامية ضرورية للجمهورية التركية للمحافظة على مكانة متميزة لها في مواجهة السياسة الأوروبية، حتى لا تتحول من دولة عظمى إلى دولة صغيرة. وكانوا يرون أن الخلافة لا تتعارض مع الشعور القومي، إنما هى جزء من القومية التركية. وكان هؤلاء المثقفون يرون أنه إذا ضاعت الخلافة الإسلامية من الأتراك، فلن يكون لتركيا أهمية تُذكر في العالم الإسلامي، وأنه يتعين على كل تركي يعتز بقوميته أن ماجدة مخلوف، الخلافة في خطاب أتاتورك، مرجع سبق ذكره، ص 42 يتمسك بالخلافة بكل ما أوتي من قوة. انظر

[308]- Rıza Nur, " Hayat ve Hatıratım", a.g.e. c. 1, s. 476,477 ve c.111, s. 1335- 1337